- **المحاضرة الثالثة والرابعة: "سيميولوجيا فرديناند دي سوسير، وسيميوطيقا تشارل ساندرس بيرس"**

إن الحديث عن السيميائيات يحيلنا بالضرورة إلى الحديث عن عالمين اثنين، هما (دي سوسير) و(تشارلز ساندرس بيرس)، لما لهما من دور بارز في ظهور هذا العلم.

- **أولا: السيميولوجيا عند فرديناند دي سوسير:**

فرديناند دي سوسير Ferdinand de saussure لغوي سويسري، ولد بجنيف في 26 نوفمبر عام 1857، التحق بجامعة لايبزيش عام 1876م، انضم إلى حلقة اللغويين الألمان، وأسهم بأفكاره في مجال الدراسات المقارنة، وفي ديسمبر سنة 1878، أنهى مشروع البحث الذي يحمل عنوان (مذكرة في النظام البدائي للصوائت في اللغات الهندو أوروبية)، وقد طُبع هذا الكتاب سنة 1889، وحقق شهرة عالمية، وكان دي سوسير آنذاك لا يتجاوز الواحد والعشرين من عمره.

أقام بباريس من 1880 إلى 1891، وتولى في هذه المرحلة منصب مدير الدراسات بالمدرسة التطبيقية للدراسات العليا، وفي الوقت نفسه كان يُحاضر هناك لجميع الطلبة في اللسانيات التاريخية والمقارنة.

وفي عام 1891 م رجع إلى مسقط رأسه، واستقر هناك يُدرس بجامعة جنيف، إلى أن وافته المنية سنة 1913 م، عن عمر يُناهز الستة والخمسين عاما، نتيجة سرطان أصابه في حلقه.

وهكذا قضي دي سوسير جل حياته في دراسة اللسانيات التاريخية وتدريسها، ولم يدرس اللسانيات الآنية والتنظير اللساني العام، اللذين اشتهر بهما بعد موته إلا في السنوات الأخيرة من حياته، وبدون منازع يُعد هذا المفكر السويسري اليوم: أب اللسانيات الحديثة، ومؤسس المنهج الآني، وأول منظر في كل من البنيوية والسيميولوجيا.

وبعد وفاته في 22 فبراير 1913، جمع طلبته منهم: (بالي CH.Bally، وسيشيهي sechehaye) كل دروسه لينشروها عام 1916، في مؤلف بعنوان (محاضرات في اللسانيات العامة: cours de linguistique général)، وذلك انطلاقا من الكراسات المتنوعة للطلبة، والحواشي التي كتبها بنفسه، وإن هذا الكتاب بلغ قيمة علمية كبيرة في

مجال اللسانيات، فقد ساعد على تحديد مجرى لسانيات القرن العشرين، والابتعاد بها كليا عن مناهج اللسانيات التاريخية.

ومن الأمور التي اشتهر بها دي سوسير، استخدامه لظاهرة ملفتة للانتباه، تمثلت فيما يسمى بالثنائيات، التي تكشف عن مجمل تصوره اللساني، وقد أضحت هذه الثنائيات مبادئ أساسية للسانيات العامة، وتتمثل هذه الثنائيات في: (اللسان\الكلام) (الدال/ المدلول) (الآني/ التطوري) (التركيبي/ الاستبدالي)

والسيميولوجيا ارتبطت ارتباطا وثيقا بالنموذج اللساني البنيوي، الذي أرسى دعائمه وأسسه؛ إذ بشر دي سوسير في محاضراته بظهور علم جديد سماه السيميولوجيا (Sémiologie) ، سيهتم بدراسة الدلائل أو العلامات في قلب الحياة الاجتماعية، ولن يعدو أن يكون موضوعه الرئيس مجموعة الأنساق القائمة على اعتباطية الدلالة، على حد تعبير دي سوسير، الذي يقول في هذا الصدد: (وتستطيع إذا أن نتصور علما يدرس حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية، علما قد يشكل فرعا من علم النفس الاجتماعي، وبالتالي فرعا من علم النفس العام، وسوف نسمي هذا العلم بالسيميولوجيا، ومن شأن هذا العلم أن يطلعنا على كافة هذه العلامات، وعلى القوانين التي تحكمها ... وإن اللسانيات ليست سوى فرع من هذا العلم العام...)، وبناء على هذا، يكون دي سوسير قد أشار إلى حقيقة أن السيميولوجيا علم لم يكتمل، ولم يصل بعد إلى تمامه، ومع ذلك يجعل منه الاطار العام الذي تشتغل فيه اللسانيات، فاللسانيات لا تشكل إلا شعبة أو مجالا من مجالات السيميولوجيا، بمعنى أن دي سوسير لم يتناول هذا العلم الذي اصطلح عليه اسم السيميولوجيا بالدراسة، ولم يضع له قوانين، إنما أشار إليه إشارة جوهرية، بفقرات قليلة، حين كان يبحث عن موقع اللغة بين الحقائق البشرية.

المبادئ البنيوية عند فرديناند دي سوسير:

-**مفهوم البنيوية:** لمعرفة معنى البنيوية، جدير بنا أن نتطرق إلى معناها من الناحية اللغوية وكذا الاصطلاحية.

1- **التعريف اللغوي:** اشتقت البنيوية من لفظ (البنية)، التي تعني تكوين الشيء، أو الكيفية التي تُشيّد عليها، وبمعنى آخر هي مجموعة مركبة من العناصر المتماسكة والمتداخلة فيما

بينها؛ بحيث تُلغي فكرة التفرد، بل يتوقف كل عنصر على بقية العناصر الأخرى، ومدى علاقته بها.

2- **التعريف الاصطلاحي:** تعرف البنية بأنها (نسق من العلاقات الباطنية المدركة وفقا لمبدأ الأولوية المطلقة للكل على الأجزاء، له قوانينه الخاصة والمحايثة، من حيث هو نسق يتصف بالوحدة الداخلية، والانتظام الذاتي، على نحو ينطوي فيه المجموع الكلي للعلاقات على دلالة يغدو معها النسق دالا على المعنى).

خصائص الدليل اللساني عند فرديناند دي سوسير: يتميز الدليل اللساني عند دي سوسير بالخصائص الست الآتية:

1- اللسان هو نظام الدلائل: إن اللسان هو نظام متكون من دلائل، وكل دليل لا قيمة له إلا بالتقابل مع الدلائل الأخرى داخل ذلك النظام، فإذا عزلنا دليلا ما عن النظام الذي يعطيه قيمته؛ فإننا لا نستطيع تعريفه، لأن اللسان هو نظام ترتبط فيه جميع أجزائه بعضها ببعض؛ ولهذا يعتبر دي سوسير اللسان (نسقا من العلامات المعبرة عن أفكار، وهو بذلك شبيه أبجدية الصم والبكم، وبالطقوس الرمزية، وبأشكال الآداب والإشارات العسكرية، إلا أنه يُعد أرقى هذه الانساق، من هنا تأتي إمكانية البحث عن علم يقوم بدراسة هذه العلامات داخل الحياة الاجتماعية)

وقد شبه دي سوسير اللسان بلعبة الشطرنج، فالمهم لا يتمثل في طبيعة المادة التي صُنعت منها القطع: (خشب، عاج، بلاستيك) وإنما في الدور لذي تلعبه كل قطعة وفق نظام اللعبة، فإذا نقص من عدد قطعها، أو أضيف؛ فإن هذا يُغير- بصفة جوهرية- من قواعد اللعبة؛ لأن قيمة كل قطعة من قطعها المحدودة العدد، ترجع إلى الموقع الذي تحتله على رقعة الشطرنج.

ولهذا كان لزاما أن يُنظر إلى الوحدات اللسانية (من أصوات وكلمات وجمل) ليس كوحدات منفصلة، وإنما كشكل مترابط، لا تظهر قيمته إلا من خلال ذلك الترابط بين عناصره وأجزائه جميعها، ومن ثم فإن تغيير موقع كلمة معينة في جملة ما، ينتج عنه بالضرورة تغيير في الصيغة ومعنى الجملة ككل، كما أن تبديل حرف من حروف الكلمة؛ يترتب عنه تغيير في بنية تلك الكلمة، والمعنى الذي تدل عليه.

2-نظرية الدليل اللساني (الدال والمدلول): والذي حسب دي سوسير، يتكون من دال ومدلول، وقد شُبِّه بالورقة، يكون وجهها الظاهر هو الصوت، والوجه الآخر (الخفي) هو المفهوم أو الفكرة، ومن ثم لا نستطيع فصل المفاهيم عن الأصوات التي تُنقل عن طريقها، فهما مترابطان ومتحدان، فبدون الدال لا وجود للمدلول، والعكس صحيح.

3- الطابع الاعتباطي: والمتمثل في أن العلاقة بين مكوني العلامة اعتباطية، بمعنى غياب منطق عقلي يبرر الاحالة من دال إلى مدلول، فلا وجود لعناصر داخل الدال تجعلك تنتقل آليا إلى المدلول.

ومن أهم الافرازات التي تمخضت عن فكرة اعتباطية العلامة اللغوية، تحرر الدال من سلطة المدلول الأحادي، مما شكّل لدينا مدلولا ينزلق، ودالا يعوم، إن اعتباطية العلامة ساعدت النص على تكثيف دلالته، وتضخيم علاميته، منفلتا من سجن المدلول وعبودية الخارج.

4- التسلسل الخطي: إن الخاصية الرابعة للعلامة موجودة في الزمن، فمثلا لا نستطيع قول كلمتين في الوقت نفسه، بل نقول الواحدة وبعدها الأخرى في الشكل التخطيطي، وتظهر الخطية في الدال حين يمكن تقسيمه إلى أجزاء، كل جزء منها يأتي عقب جزء آخر في التتابع الزمني المنتظم، فكلمة (كتب) مثلا يمكن تقسيمها إلى أجزاء متتالية على النحو الآتي:

ك + فتحة +ت + فتحة +ب +فتحة.

فخطية الدال تعود إلى الطابع النطقي، الذي تتميز به اللغة الطبيعية، فالملفوظات تُنجز حتما وفق الزمن، وتُدرك بالسمع عبر تتابعها، على عكس الوسائل التعبيرية المرئية، كالرسم مثلا، فعلى الرغم من أن الفنان يرسم لوحته مراعيا انتظام عناصرها، فالمتأمل أو الناظر لتلك اللوحة يدرك الرسالة التي يحتويها الرسم، معتبرا إياها كلا لا يتجزأ.

5-الطابع المميز: بما أن اللسان نظام من الدلائل، فإن هذه الدلائل لا تكون إلا وحدات مميزة، أي يتميز بعضها عن بعض، وتكون قابلة للاستبدال، فمثلا العلاقة بين حرفي (القاف) و(العين) في اللغة العربية علاقة مميزة، لأن استبدال الحرف (العين) بالحرف (القاف) يؤدي إلى اختلاف في معنى الكلمات، مثل (قاد/و/عاد)، وهكذا فإن الحروف التي

تؤلف الكلمة (Morphéme) هي وحدات مميزة؛ لأن كل إبدال في حرف ينجر عنه تغيير جوهري في هيئة الكلمة، مثال: التقابل بين الوحدتين المميزتين / ز/و/ ط/ في هيئة الكلمة (زائر/ طائر).

وتكون الكلمات بدورها وحدات مميزة، بحيث أن إبدال كلمة (الانسان) بكلمة (الماء) في جملة (عين الانسان) يغير المعنى جذريا.

ومن هنا فإن الدليل المميز هو الدليل الذي لا تكمن قيمته إلا إذا أثبت وجوده في ذلك اللسان (بتقابله مع بقية الدلائل الأخرى التي تكون بالضرورة مغايرة وتفاضلية)

6- التقطيع المزدوج: تُعد صفة التقطيع المزدوج الصفة التي تميّز الألسن البشرية عن بقية أنظمة الاتصال الأخرى، والتي يُقصد بها تجزئة مدرج الكلام إلى مقاطع صوتية، أو تجزئة مدرج الدلالات إلى وحدات ذات معنى.

حيث يكون **التقطع الأول** عندما يُجزأ الملفوظ اللغوي إلى وحدات دنيا دالة، أي إلى كلمات تُدعى كلمات دالة، مثال: يتألف الملفوظ اللغوي (الأطفال يلعبون) من الوحدات الدالة الست الآتية: (ال / طفل / جمع تكسير / ي / لعب / ون) ، بحيث أن كل عنصر من هذه العناصر يمكن أن يُستبدل في المحيط نفسه بعناصر أخرى تقع على المحور الاستبدالي، كما يمكن لهذه العناصر أن تقع في محيط مختلف عندما تُقرن بوحدات دالة أخرى على المحور التركيبي.

أما **التقطيع الثاني** فيتم في تجزئة العنصر الدال بدوره إلى وحدات متعاقبة أصغر، ومجردة من المعنى، أي إلى الوحدات المميزة المتجسدة من خلال الوحدات الصوتية الوظائفية (أي الحروف أو الفونيمات) مثال: تتألف كلمة (الأطفال) بدورها من أربع وحدات صوتية وظائفية (ال+ أط + فا + ل)؛ حيث يمكن لكل وحدة من هذه الوحدات أن تُستبدل بوحدات أخرى في المحيط نفسه، أو تُقرن بوحدات أخرى كي تؤلف وحدات دالة مختلفة .

-ثانيًا: "سيميوطيقا تشارل ساندرس بيرس"

في الفترة التاريخية التي كان يصوغ فيها دي سوسير تصوره الجديد للسانيات، ويُداعبه حلم في تأسيس علم جديد، أطلق عليه السيميولوجيا، كان الفيلسوف الأمريكي تشارل ساندرس بيرس (1839-1914) ينحت من جهته، انطلاقا من أسس ابستيمولوجية مغايرة،

تصورا آخر لهذا العلم، سيسميه السيميوطيقا، والسيميوطيقا عنده لا تنفصل من جهة عن المنطق، باعتباره علم التفكير الصحيح، ولا تنفصل من جهة ثانية عن الفينومينولوجيا، باعتبارها علما لتحديد الإدراك وسيرورته ولحظاته.

تشارل بيرس (1839–1914) رائد الفكر الفلسفي البراغماتي، وهو ابن لعالم الرياضيات الكبير (بنيامين بيرس)، وجاء الابن عالما في الرياضيات، وفيلسوفا وعالم منطق، وقبل اشتغاله بالفلسفة اشتغل عشر سنوات داخل معمل الكيمياء.

يُجمع المتخصصون على أن بيرس هو أعظم الفلاسفة الأمريكيين قاطبة، له جهود بارزة في مجال نظرية الاحتمالات، ومنطق العلاقات؛ ولذا يعده البعض مؤسس المنطق الحديث.

لم يكن تشارل ساندرس بريس مجهولا خلال حياته في فرنسا، فقد شارك باعتباره عالم أرض في الندوة العالمية الأول لعلماء الأرض، التي انعقدت بباريس سنة (1876) .

وقد أُستعمل مفهوم السيميوطيقا في العصر الحديث من قبل الفيلسوف بيرس، الذي مثّل بحق الاتجاه السيميوطيقي في الدراسات السيميولوجية الحديثة، وتجلى ذلك في كتابه الموسوم ب (كتاب حول العلامة)، الذي ظهر قبل كتاب (دي سوسير) "محاضرات في اللسانيات العام" الصادر عام (1916).

ولما كانت السيميوطيقا عند بيرس تعني نظرية العلامات؛ فقد أكد أن العلوم في مجملها لا يمكن دراستها بمعزل عن السيميوطيقا، وفي هذا الصدد يقول: (ليس باستطاعتنا أن ندرس أي شيء في هذا الكون – كالرياضيات والأخلاق والعادات والفلك والجاذبية والكيمياء والكلام إلا على أنها أنظمة سيميوطيقية) بمعنى أن سيميوطيقا بيرس نشاط معرفي شامل، يتمدد ليشتمل كل ما تنتجه التجربة الانسانية، فهي رؤية للعالم، تتلخص في النظر إلى الوجود الإنساني من خلال وضعه باعتباره علامة في الكون، بل إن الكون ذاته ليس كذلك إلا في حدود اشتغاله كعلامة، فكل ما فيه من أشياء وكائنات وطقوس وأوهام وحقائق يشتغل كعلامة، ويتسلل للوجود الانساني باعتباره كذلك؛ حيث (إن الانسان علامة، وما يحيط به علامة، وما ينتجه علامة، وما يتداوله هو أيضا علامة، والخلاصة أن لا شيء يفلت من سلطان العلامة).

ومن هنا نستطيع القول وحسب وجهة نظر بيرس إن المنهج السيميوطيقي صالح لمقاربة مختلف الأشكال العلامية، إنه (المعلم الذي ينسق العلوم الأخرى، ويدرس الأشياء أو خصائص الأشياء في توظيفها للعلامات، ومن ثم فالسيميائيات هي آلة كل العلوم (علم العلوم)، لأن كل علم يستعمل العلامة، وتظهر نتائجه طبقا للعلامات، إذن هي العلم الواصف أو العلوم).

فالسيميوطيقا تستهدف الكشف عما ينبغي أن يكون، ولا تقتصر فقط على ما هو كائن في العالم، إنها علم الظواهر الموجودة، والظواهر الضرورية، وعلم الفكر النقدي، الذي يفتح مجالات أرحب أمام المحتمل والممكن من العوالم.

-العلامة ومكوناتها عند تشارل سندرس بيرس:

إن العلامة حسب بيرس بنوعيها (اللغوية وغير اللغوية) تشتغل باعتبارها بناء ثلاثيا، يشتمل على أول (ماثول)، يُحيل على ثان (موضوع)، عبر ثالث (مؤول)، ضمن دورة مستمرة، قد لا تتوقف عند حد بعينه، فالأول هو تمثيل عام ومجرد، أما الثاني فهو المعطى الخارجي، في حين يُشكل الثالث حالة التوسط الإلزامي، الذي يضمن للعلامة صحتها، وبهذا الصدد يُعرفها بيرس بقوله: (هي شيء ما ينوب لشخص ما عن شيء ما من جهة ما وبصفة ما).

فالعلامة عنده متعددة الأوجه، وإذا تأملنا مفهوم بيرس نجده يماثل ما جاء به "عبد القاهر الجرجاني" من حيث قابلية المفسرة لأن تتحول إلى متوالية من العلامات، لها فضاء دالي غير محدد، يقول هذا الأخير (المعنى ومعنى المعنى)، نعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ، الذي نصل إليه بغير واسطة، ومعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك هذا المعنى إلى معنى آخر، يُفهم من هذا القول أن المعنى (المدلول) قد يتحول إلى المبنى (الدال) باحثا عن مدلول آخر، أي أن المعنى وبحد ذاته علامة، تعود على موضوعها الذي أفرز المعنى.

وبالتالي فالعلامة عند بيرس تتكون من كيان ثلاثي، يتمثل في:

1-الماثول (الممثل / المصورة): هو صورة صوتية أو مرئية لكلمة ما، ويمكن القول عنه بأنه قريب من مفهوم الدال عند دي سوسير، فالرموز الصوتية لكلمة شجرة (ش. ج. ر. ة) هي ماثول يشير إلى الشجرة الأصل.

2-الموضوع: قد يكون واقعيا، أو قابلا للتخيل، أو غير قابل للتخيل، وهو الشيء الموجود في عالم الموجودات، والموضوع المباشر هو الموضوع الماثل أمام أعيننا، فإحالتنا على وجوده مباشرة، كإحالتنا على (شجرة)، ويُشكل الموضوع جزءا من أجزاء العلامة، وعنصرا من عناصرها المكونة.

3-المؤول: وهو الصورة الذهنية، التي تقوم بالحد من مباشرة العلاقة، أو الاحالة بين الماثول والموضوع.

وبهذا فهي تُبنى على نظام رياضي منطقي، قائم على نظام ثلاثي، كما في الشكل الموالي:

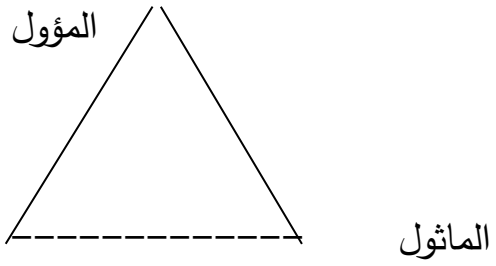

فالعلامة إذن هي ماثول يحيل على موضوع عبر مؤول، وهذه الحركة -سلسلة الاحالات- هي ما يشكل في نظرية بيرس ما يُطلق عليه "السيميوز"؛ أي (النشاط الترميزي الذي يقود إلى إنتاج الدلالة وتداولها)، وبعبارة أخرى إن السيميوز هي المسؤولة على إقامة العلاقة السيميوطيقية، الرابطة بين الماثول والموضوع، عبر فعل التوسط الإلزامي، الذي يقوم به المؤول، وعلى هذا الأساس فإن السيميوز تتحدد باعتبارها سيرورة، وبناء عليه فإن الموضوع لا يوجد له مقابل عند دي سوسير، وعند الحديث عن موضوع ما داخل إحالات السيميوز، لا يمكن أن ينفصل عن عملية الاتصال نفسها، فالمرسِل والمستقبل يجب أن يمتلكا معرفة سابقة (معرفة مباشرة وهي المعطاة، ومعرفة غير مباشرة، وهي التي تُدرك) عن موضوع ما؛ لكي يكون هناك حوار.

مثال ذلك الجملة التالية: (شجرة طويلة) فالموضوع المباشر هو إسناد صفة الطول إلى الشجرة، وهو أمر يُدركه كل من له معرفة باللغة العربية، أما أن تكون الشجرة دالة

على الخصوبة أو الوطن، أو مضمون أسطوري آخر، فذلك أمر يتطلب معرفة بالثقافة التي تصاغ ضمنها هذه الجملة، وهو ما يُسميه بالتجربة الضمنية.

في حين يُشير المؤول إلى عنصر ثالث داخل نسيج السيميوز، وعمادها وبؤرتها الرئيسية، فلا يُمكننا الحديث عن العلامة إلا بوجود المؤول، باعتباره العنصر الذي يجعل الانتقال من الماثول إلى الموضوع، فهو الفكرة التي بموجبها يُحيل ماثول ما على موضوع، أو هو التصور الذهني العام، الذي نملكه عن الشيء الموجود في العالم الخارجي.

وهذا ما وضحه "سوسير"، فإذا أخذنا على سبيل المثال كلمة (حصان)، فإن الدال هو الصورة الصوتية (يعني وجود أصوات: ح، ص، ا، ن) أما المدلول فهو مفهوم الحصان، والعملية التي يجري إخضاع الدال لها، وتتماشى والمدلول تسمى الدلالة؛ إذ إن الرابطة ما بين الدال (الماثول) وما يُقابله من مدلول (مؤول) من حيث الجوهر– هي رابطة تواضعية وغير معللة– لأننا لا نستطيع أن نُثبت على سبيل المثال أن الصورة الصوتية لكلمة (حصان) يُحددها جوهر مفهوم الحصان، ولكن مع ذلك فإن المواضعة الساكنة في أساس الدلالة وطيدة وثابتة (لا يوجد أحد من بين أعضاء المجتمع يستطيع أن يُغيرها انطلاقا من رغبته الفردية).

ويتخذ الترابط بين العناصر الثلاثة المشكلة للعلامة الشكل الآتي: أداة التمثيل تستدعي موضوعا كشيء للتمثيل، وتستدعي مؤولا كرابط بين العنصرين؛ أي ما يُوفر للماثول إمكانية تمثيل الموضوع بشكل تام داخل الواقعة الإبلاغية، يشتغل من خلالها شيء ما كعلامة، وتستدعي استيعاب الكون من خلال ثلاثة مستويات: ما يحضر في الأعيان، وما يحضر في الأذهان، وما يتجلى من خلال اللسان.

استنادا إلى هذا وجب النظر إلى العلامة باعتبارها وحدة ثلاثية المبنى، غير قابلة للاختزال في عنصرين، فإذا كان سوسير يُصر على استبعاد المرجع من تعريفه للعلامة، ويعتبره معطى غير لساني؛ فإن بيرس نظر إلى المسألة من زاوية أخرى، فبناء العلامة يرتكز في تصوره على فكرة الامتداد، التي تجعل من الكون بكل مكوناته وحدة لا تنفصل، فما يؤثث الكون ليس أشياء مادية بل علامات، ونحن لا نتحاور مع واقع مصنوع من ماديات، بل نتداول هذا الواقع من خلال وجهه السيمولوجي، إننا نحيا داخل كون رمزي، وبقدر ما يزداد النشاط الرمزي يتراجع الواقع.

فالماثول إذن حسب "بيرس" هو شيء يعوض بالنسبة لشخص ما شيئا ما، بأية صفة وبأية طريقة، إنه يخلق عنده علامة موازية، أو علامة أكثر تطورا، إن العلامة التي يخلقها أطلق عليها مؤولا للعلامة الأولى، وهذه العلامة تحل محل شيء: موضوعها.

وبناء عليه يستعمل الماثول كأداة في التمثيل لشيء آخر، إنه لا يقوم إلا بالتمثيل، فهو لا يُعرفنا على شيء، ولا يزيدنا معرفة به؛ ذلك أن موضوع العلامة هو ما يجعلها شيئا قابلا للتعرف، وهو في الوقت نفسه المعرفة المفترضة من خلال وجود باعث ومتلقي.

أما عن الموضوع فهو ما يقوم الماثول بتمثيله، سواء كان هذا الشيء الممثل واقعيا، أو متخيلا أو قابلا للتخيل أو لا يمكن تخيله على الإطلاق، ويُلخص "بيرس" هذه الملاحظة بقوله: (إن موضوع العلامة هو المعرفة التي تفترضها العلامة؛ لكي تأتي بمعلومات إضافية تخص هذا الموضوع)، والشكل الموالي يوضح السابق:

مؤول

ماثول ---------- موضوع

الخط المتقطع يشير إلى أن العلاقة بين الماثول والموضوع ليست مباشرة، بل تمر عبر المؤول.

خلاصة:

وعلى ضوء ما تقدم عرضه يمكننا أن نستنتج الآتي:

-انطلاقة دي سوسير كانت لغوية لسانية، أما بيرس فمنهجيته كانت ذات منطلق فلسفي رياضي منطقي ظاهراتي.

-العلامة عند دي سوسير ثنائية المبنى، تتكون من دال ومدلول، أي تجمع بين الصورة الصوتية والصورة الذهنية، ولا تجمع بين الشيء ومسماه، في حين أن العلامة عند بيرس ثلاثية المبنى، تتكون من الماثول والمؤول والموضوع، وهي مبنية على قاعدة رياضية تقول: إن كل نظام لا بد أن يكون ثلاثيا.

-العلامة عند دي سوسير لغوية، وتمتاز بكونها اعتباطية (غياب المنطق العقلي)، بينهما نجد العلامة عند بيرس هي لغوية وغير لغوية.

- **الفرق بين السيميولوجيا والسيميوطيقا:**

يرى بعض الباحثين أن السيميولوجيا والسيميوطيقا لفظان مترادفان، والبعض يرى أن السيميولوجيا تختص بالتصور النظري، وهي بذلك لفظة عامة، أما السيميوطيقا تعني الجانب الاجرائي التحليلي، وهي بذلك منهج تطبيقي.

ولكن ما نستطيع قوله إن المصطلحين السيميولوجيا والسيميوطيقا يغطيان اليوم نظاما واحدا متكاملا، والفرق الوحيد بين هاتين اللفظتين أن السيميولوجيا مفضلة عند الأوروبيين، تقديرا لصياغة سوسير، بينما يبدو أن الناطقين بالإنجليزية يميلون إلى تفضيل السيميوطيقا احتراما للعالم الأمريكي بيرس

المحاضرة الخامسة: "التصنيف الفرنسي والأمريكي للعلامة"

-أولا: التصنيف الفرنسي للعلامة: وهي ممثلة بدي سوسير، والذي يُعتبر أب السيميولوجيا في هذه الدراسة، والواضع الأول لها، ليعنى بالمستوى البراغماتي للسيميولوجيا، أي بفاعلية العلامة، وتوظيفها في الحياة العملية، وفي عمليات الاتصال ونقل المعلومات.

والسيميولوجيا ذات أصل سويسري، تعتبر العلامة وحدة ذات طابع ثنائي؛ إذ تتكون من دال ومدلول، تُؤطرها علاقة اعتباطية، فلا علة لوجود الدال إلا بمدلوله.

وحسب التصنيف الأكاديمي الذي أقامه (بايلون كريستيان، وبول فابر) يمكن دراسة أنواع الدلائل في شكل ثنائيتين: (القرينة والاشارة) من جهة، و(الدليل والرمز) من جهة أخر.

1-**القرينة والاشارة:** تعد النية في التبليغ العامل الأساسي في التمييز بين ما هو قرينة، وبين ما هو غير قرينة، أي إشارة، فبخلاف الإشارة، فأن القرينة هي كل دليل لا يتضمن أي نية في التبليغ.

- **القرينة:** يعرفها "لويس بيرتو" بأنها (واقعة يمكن إدراكها فورا، وتعرفنا على شيء يتعلق بواقعة أخرى غير مذكورة) بمعنى أن القرينة لا تحمل أي نية في التبليغ، ومثالها: السماء الغائمة، التي تدل عل احتمال سقوط المطر.

- **الاشارة:** يمكن تقسيم الاشارات إلى نوعين رئيسيين: إشارات الدلالة وإشارات الاتصال:

- **إشارات الدلالة:** هي الاشارات التي على الرغم من أنها تحمل رسالة وتدل على شيء، إلا أن وظيفتها الأساسية لا تكمن في ذلك، بل في الدور الذي أنشئت من أجله، ومثاله من الهندسة المعمارية: إن المسجد قد بُني بالدرجة الأولى من أجل إقامة الصلاة، إلا أنه غالبا ما يتجسد في هندسته المعمارية البصمات الفنية أو الثقافية أو الحضارية للشخص الذي أشرف على بنائه.

- **إشارات الاتصال:** هي الإشارات التي وضعت أساسا من أجل حمل رسالة، أو نقل خبر، كإشارات المرور، والدلائل اللغوية.

على خلاف القرينة، تتضمن الإشارة الاتصالية النية في التبليغ: إن السماء العاصفة ليس في نيتها الإعلان عن رداءة الطقس، ولكن بفضل هذه القرينة يشرع مسؤول الحماية المدنية على مستوى الشاطئ بمباشرة تعليق العلم الأحمر.

إن هذا العلم هو إشارة اتصالية، وضعت بغرض إعطاء تحذير للمصطافين، نلاحظ بأن هذا العلم هو دليل غير لساني.

2-الرمز والدليل: تكون الإشارة الاتصالية إما رمزا وإما دليلا.

-**الرمز:** فرّق دي سوسير بين العلامة والرمز، فنسب إلى العلامة الصفة الاعتباطية، وإلى الرمز الصفة التعليلية.

وبالتالي فالرمز إشارة اتصالية تقوم على ركائز طبيعية، مثل: الدخان الذي يعني وجود النار.

-**الدليل:** بخلاف الرمز فهو لا يتمتع بأي علاقة طبيعية، مثل: استحمام خطير عند رؤية العلم الأحمر في الشاطئ.

-**ثانيا: التصنيف الأمريكي للعلامات:** لقد ميّز بيرس مؤسس السيميوطيقا الحديثة 1878 بين ثلاثة أنواع من الدلائل، هي: الأيقونة، المؤشر، الرمز.

1-الأيقونة Icone: إن الأيقونات ضرب من العلامات، التي تنفرد بخصيصة التعليل، التي تستند إلى عامل المشابهة، ومن الأمثلة التي تُساق في مجال الأيقونات: الصور الفوتوغرافية، والمخططات المعمارية، والخرائط الجغرافية، والضجيج الاصطناعي في السينما والمسرح ...

وبهذا ترتكز الدلائل التشابهية أو الأيقونية على مبدأ التشابه بين الدال والمدلول، سواء كان تشابها سمعيا مثل الضجيج، أم تشابها بصريا، مثل: الرسم أو الصورة الفوتوغرافية، وتنقسم إلى نوعين:

أ- **عالية الأيقونة:** كالصورة التلفزيونية الحية، والصور الفوتوغرافية، وبعض اللوحات الفنية، ومجسمات المباني والمشاريع.

ب- منخفضة الأيقونة: هي التي تكون فيها المحاكاة ضعيفة كبعض المرقصات الشعبية....

2- المؤشر indexe: العلامة التي تُشير إلى مدلول لعلاقة تلازمية، مثل: الدخان في دلالته على وجود النار، وآثار الأرنب في دلالته على وجود هذا الحيوان.

3- الرمز symbole: وهو عند بيرس المعادل الحقيقي للعلامة عند دي سوسير؛ إذ يرى أن علاقة الرمز بمدلوله هي علاقة اعتباطية عرفية فقط.

فالعلامة الرمزية هي التي تفيد مدلولها بناء على اصطلاح بين جماعة من الناس، ومثال ذلك الحمامة البيضاء، التي تحمل غصن الزيتون، ترمز للسلام، واشارات المرور...

ومما سبق نقول بأنه ووفقا لتصنيف بيرس يكون:

- العلاقة بين الدال والمدلول تحت مفهوم العلامة الأيقونية هي علاقة مشابهة
- أما المؤشر فالعلاقة علاقة سبب ونتيجة.
- في حين يكون الرمز علاقة عشوائية عرفية.